

تفسير البحر المحيط

@ 344 @ أن ينتصب على إسقاط في ، فلا يجوز ذلك إلا في الضرورة ، وقد نص سيبويه على أن غسل الطريق شاذ ، فلا يخرج القرآن عليه . { وَأَنزَّلْنَا طَٰغِيَّتَهُۥٓ أَن لَّا تَلَّكَ لَبَّٰٓئِكُمْ وَذَرْنِ الْغُرُفَ } : أي كائنين في الأرض ، { وَلَن نَّعْجِزَهُ } : أي أيقنا ، { فِي الْأَرْضِ } : أي كائنين في الأرض وهرباً حالان ، أي فارين أو هاربين . { وَأَنزَّلْنَا لَمًّا سَمْعِنَا الْهُدَى } : وهو القرآن ، { بِهِ إِنَّا نُنَزِّلُ } : أي بالقرآن ، { فَمَن يُوْثِّقْ مِنْ بَرٍّ رَّبَّهُ } : أي فهو لا يخاف . وقرأ ابن وثاب والأعمش والجمهور : { فَلَا يَخَافُ } ، وخرجت قراءتهما على النفي . وقيل : الفاء زائدة ولا نفي وليس بشيء ، وكان الجواب بالفاء أجود من المجيء بالفعل مجزوماً دون الفاء ، لأنه إذا كان بالفاء كان إضمار مبتدأ ، أي فهو لا يخاف . والجملة الاسمية أدل وأكد من الفعلية على تحقق مضمون الجملة . { بَخْسًا } ، قال ابن عباس : نقص الحسنات ، { وَلَا رَهَقًا } ، قال : زيادة في السيئات ، { وَلَا رَهَقًا } ، قيل : تحميل ما لا يطاق . وقال الزمخشري : أي جزاء بخس ولا رهق ، لأنه لم يبخس أحداً حقاً ولا رهق ظلم أحد ، فلا يخاف جزاءهما . ويجوز أن يراد : فلا يخاف أن يبخس بل يجزى الجزاء الأوفى ، ولا أن ترهقه ذلة من قوله عز وجل : { تَرَهَّقُهُمْ ذِلَّةً } . انتهى . وقرأ الجمهور : { بَخْسًا } بسكون الخاء ؛ وابن وثاب : بفتحها . { وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ } : أي الكافرون الجائزون عن الحق . قال مجاهد وقتادة : والبأس القاسط : الظالم ، ومنه قول الشاعر : % (قوم هم قتلوا ابن هند عنوة % .

وَهُمُ اقْسَطُوا عَلَى النِّعْمَانِ .

) % .

وجاء هذا التقسيم ، وإن كان قد تقدم { وَأَنزَّلْنَا مَدِّينًا } ، ومنا دون ذلك ليذكر حال الفريقين من النجاة والهلكة ويرغب من يدخل في الإسلام . والظاهر أن { الْقَاسِطُونَ } فَمَنْ أَقْسَمَ { إلى آخر الشرطين من كلام الجن . وقال ابن عطية : الوجه أن يكون { فَمَنْ أَقْسَمَ } مخاطبة من الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم) ، وسلم ويؤيده ما بعد من الآيات . وقرأ الأعرج : رشداً ، بضم الراء وسكون الشين ؛ والجمهور : بفتحهما . وقال الزمخشري : وقد زعم من لا يرى للجن ثواباً أن الله تعالى أوعد قاسطيهم وما وعد مسلميهم ، وكفى به وعيداً ، أي فأولئك تحروا رشداً ، فذكر سبب الثواب وموجبه ، والله أعلم من أن يعاقب القاسط ولا يثيب الراشد . انتهى ، وفيه دسيعة الاعتزال في قوله وموجبه .

قوله عز وجل : { وَأَلَّوْاْ اسْتَقَامُواْ عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَّاءً
غَدَقًا * لَّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا
صَّعَدًا * وَأَنَّ الْأَمْسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا *
وَأَنزَّلَهُ لَّسَمًا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ
لِبَدًا * قُلْ إِنزَّمَا * ادْعُوا * رَبِّي وَلَا تُشْرِكْ بِهِ أَحَدًا * قُلْ إِنزِّي
لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا * قُلْ إِنزِّي لَنْ * يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ
أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا * إِلَّا بَلَغَا مِّنَ اللَّهِ
وَرِسَالَاتِهِ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَلَنْ لَّهُ نَارٌ جَهَنَّمَ
خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا * حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ
مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا * قُلْ إِن أَدْرَىٰ أَقْرَبُ مَّا
تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا * عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ
غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ
يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا * لَّيَعْلَمَ أَنْ قَدِ ابْلَغُوا رِسَالَاتِ
رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا } . .

هذا من جملة الموحى المندرج تحت { أُوحِيَ إِلَيْكَ } ، وأن مخفة من الثقيلة ،
والضمير في { اسْتَقَامُواْ } ، قال الضحاك والربيع بن أنس وزيد بن أسلم وأبو مجلز :
هو عائد على قوله : { فَمَنْ أَسْلَمَ } ، والطريقة : طريقة الكفر ، أي لو كفر من أسلم
من الناس { لَأَسْقَيْنَهُمْ } إملاء لهم واستدراجاً واستعارة ، الاستقامة للكفر قلقة لا
تناسب . وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن جبير : هو عائد على القاسطين ، والمعنى على
الطريقة الإسلام والحق ، لأنعمنا عليهم ، نحو قوله : { وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ
ءَامَنُواْ وَاتَّقَوْاْ } . وقيل : الضمير في استقاموا عائد على الخلق كلهم ، وأن هي